ترتشكي معلم الالمان

من رأي جماعة من الكتّاب الذين بحثوا في ما ابداهُ الالمان من اعتدادهم بانفسهم واعتقادهم انهم افضل امم الارض وقد انتدبوا للسيطرة على العالم وايرادهِ موارد السعادة ان غارس هذا الاعتقاد فيهم هو استاذهم ترتشكي . وهو اصلاً من اهالي سكسونيا ولد بمدينة درسدن سنة ١٨٣٤ ودرس في جامعتي ليبسك وبُن واقام في بن بلتي الخطب في التاريخ والسياسة فاقبل عليهِ الطلبة لابتكار آرائهِ وحسن اسلوبهِ لكن حكومة سكسونيا رأت فيهِ من التطرف ما منعها من جعلهِ استاذاً في مدارسها

وكان يذهب الى ان لا بدَّ لممالك المانيا من ان تتحد معاً وتصير مملكةً واحدة تشمل عروش الممالك الصغيرة التي فيها ولا يبقى منها الاَّ عرش واحد ورايةٌ واحدة تنضوي تحتها الامة الالمانية فكان لمذهبهِ هذا وقع عظيم في بروسيا لانها اكبر ممالك المانيا فجُعل استاذاً في جامعة فريبرج (ببروسيا) ثم لما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا اتى برلين وترك وعوتهُ السكسونية التي ولد فيها واخذ الدعوة البروسيانية وجُعل محرراً في احدى جرائدها فكتب مقالة شديدة اللهجة طلب فيها ضم هنوفر وسكسونيا الى بروسيا وانحى باللائمة على ملك سكسونيا فاغتاظ ابوهُ منهُ وسخط عليهِ لانهُ كان ضابطاً كبيراً في الجيش السكسوني ومن المقربين الى ملك سكسونيا . ثم جعل استاذاً في جامعة برلين سنة ١٨٧٤ وكان قد صار عضواً في مجلس النواب الالماني سنة ١٨٧١ ومن ثم الى ان توفي سنة ١٨٩٦ بقي من اشهر الرجال في مدينة برلين . ولما توفي سيبل المؤرخ محرر المجلة التاريخية خلفهُ في ادارة تحريرها وكان اولاً من الحزب الحر فتركهُ وصار من انصار الامبراطورية والممجدين لها

ويقال انهُ ما من احد استهوى اهل بلادهِ واستولى على عقولهم مثلهُ وكان شديد الوطأة على كل الاحزاب التي يظن انها تؤول الى إضعاف المانيا او الوقوف في سبيل تقدمها وتفوقها فلا ينفك عن مهاجمتها والتنكيل بها . وساعد الحكومة في ما سنتهُ من القوانين لمقاومة الاشتراكيين والبولونيين والكاثوليك واليهود . وكان من الداعين الى التوسع في الاستعمار ولذلك كان عدوّاً لدوداً للانكليز ويقال انهُ هو المسبب الاكبر لما نشأ في نفوس الالمان في اواخر القرن الماضي من البغض لانكلترا

وكان في اول امرهِ من نواب الاحرار في مجلس النواب ثم انحاز بعدئذٍ الى المحافظين

المعتدلين وصار منهم ولكنهُ كان ضعيف السمع فلم يستطع الاشتراك في مباحثات المجلس

ولهُ مقام رفيع في علم التاريخ وقد اقتصر على التاريخ السياسي وعلى الازمنة التي جرت فيها حوادث سياسية كبيرة وكان همهُ الاكبر موجهاً الى تاريخ بلاده وقلما ابتعد عن المانيا . واكبر مؤلفاتهِ شأناً تاريخ المانيا في القرن التاسع عشر طبع الجزء الاول منهُ سنة ١٨٧٩ ثم طبع اربعة اجزاء اخرى ولم يصل بهِ الاَّ الى سنة ١٨٤٧ . ومن اشهرها كتابهُ في السياسة ومقالاتهُ العديدة في المواضيع السياسية والتاريخية

وكان اديباً حسن السيرة كتب وهو في الخامسة عشرة عبارة جعلها شعاراً لحياتهِ وقانوناً لسيرتهِ وهي قولهُ « يجب ان اسير بالاستقامة دائماً واكون عفيفاً اديباً شجاعاً نافعاً لنوع الانسان » . وسعى دائماً لكي لا يحيد عن هذه الخطة وقد انتقل من حزب الاحرار الى حزب المحافظين لانهُ اعتقد ان عظمة المانيا تتوقف على قوتها الحربية وعلى ملاشاة الدول الصغيرة . وحسب ان نجاح الامم في تنازع البقاء هو النتيجة المقدورة لها بالقضاء الالهي فلا بدَّ للامم من ان تتنازع البقاء وانما يفوز منها اصلحها لهُ بتوفيق الهي

وكان حرًّا في اقوالهِ وآرائهِ ومعاملاتهِ يكره التخيُّل والمحاولة والمواربة فانحى باللائمة على رجال القانون الذين حاولوا ان يجدوا مسوغاً قانونياً لقسم دوقيتي شلسوك وهولستين الى المانيا وقال ان الغرض الذي ترمي اليهِ المانيا اقتضى ضمها فضمتا من غير مسوغ قانوني

ومن هذا القبيل ما قالهُ عن الحرب وهو

« لا يليق بالالمان ان يرددوا قول رسل السلام وعبَّاد المال الذي لا كنهُ الالسنة ولا ان يتباغضوا عن مطالب العصر ولو كانت مما يؤلم النفوس . نعم ان عصرنا عصر حرب وزماننا زمان صدام فاذا تغلَّب القوي على الضعيف فيكون قد جرى على مقتضى سنَّة الكون التي لا تتغير وقضاء الله الذي لا مردَّ لهُ . فالمخاصمات التي تنشو الآن بين قبائل الزنوج وتقلل عددهم ضرورية لحياتهم في قلب افريقية كالحروب التي تثيرها الامم للاحتفاظ بافضل مقتنياتها الادبية . تلك لازمة من باب مادي وهذه لازمة من باب ادبي »

وكان من اهل التعليل اي الذين يعللون كل شيء بارجاعهِ الى مبدإ ادبي ويقولون ان الغاية تبرر الواسطة . ولم يخطر لهُ ان الواسطة قد تُفسد الغاية او تصير غايةً لذاتها الاَّ في اخر ايامهِ بعد ان ذاعت تعاليمهُ وشاعت واعتنقتها الالوف من مريديهِ . وكان يعتقد ان الحروب تربي المروءة والشهامة في النفس وان تركها والانقطاع للتجارة يضعفان العزائم ويصغران النفوس فاحتقر الانكليز لانهم اثاروا حروبهم لكي يوسعوا متاجرهم وقال ان

دعائهم يحملون التوراة في اليد الواحدة والافيون في الاخرى وان الالمان افضل امم اوربا سيرةً واشدهم تديناً . وكان الامر كذلك حينما جاهر بهذا القول

لكن بهرعينيه فوز المانيا في حربها مع النمسا فاحتقر ماضيها الادبي المجيد وقال ان غيتي وكنت ومن حذا حذوهما في عصرهما كانوا شعراء واهل خيال لا سياسة لهم ولا عظمة يبغونها وان كل فارس الماني يكسر رأس رجل كرواتي ينفع المانيا اكثر من امهر كاتب في بدء ابلغ قلم . ولولا صعمهُ لانتظم في الجيش مثل ابيهِ

ولم ينفرد في آرائهِ بل شاركهُ فيها كثيرون من نوابغ عصرهِ مثل نيبهر ورنكي ومعمسن وسيبل وهوسر ودرويسن وغنست وكلهم من كبار المؤرخين فانهم ضربوا على نغمة واحدة وهو القضاء على الممالك الصغيرة وضمها كلها الى مملكة واحدة واذاعة الكراهة لفرنسا . الاَّ ان ترتشكي كان اكثرهم تدقيقاً وتمحيصاً وابعدهم عن التهيُّل والتمحُّل والتماس الاعذار فسهل عليهِ ان يجاري بسمارك اكثر مما سهل عليهم . ومن اقوال بسمارك لهُ « ان نسيجنا السياسي ليس ناصع البياض كما يجب ان يكون لكن ذلك لا يقلق ضميري » . وكان يتمنَّى ان تشمل مملكة بروسيا المانيا كلها ولا يبقى فيها ملك غير الامبراطور . ثم توسَّع في هذه الامنية وودَّ ان تسلط المانيا على المسكونة كلها او تكون الدولة العظمى فيها ولما الكلمة العليا ورأى ان ذلك لا ينال الاَّ بتقصير اشبار انكلترا اولاً وسحق اسطولها وهو الذي حث الالمان على انشاء الاساطيل

وكان يقول بوجوب ضم الالزاس واللورين الى المانيا قبل الحرب السبعينية وتحرير سكانهما من نير فرنسا واقناعهم بان اصلهم المان ولو كانوا قد نسوا ذلك او تناسوهُ وهاك ما قالهُ في هذا الصدد

« نحن الالمان نعرف المانيا ونعرف فرنسا ونعرف ما هو اصلح للالزاس اكثر من اهلها الذين يجهلون ما هي المانيا بسبب اختلاطهم بالفرنسويين فيجب ان نردهم الى اصلهم رغماً عنهم »

وكان يعتقد ان الفضائل ستنبع في المانيا المتحدة وتساعدها على تهذيب العالم ولكن خاب ظنهُ فلما عيَّدت المانيا عيد معركة سيدان الخامس والعشرين خطب في جامعة برلين فقال

« لقد اخطأت آدابنا من كل وجه وتلاشى من اهل هذا الجيل الاحترام الذي قال غيتي انهُ غاية كل التعاليم الادبية . الاحترام لله . الاحترام للحدود الفاصلة بين الرجال والنساء التي وضعتها الطبيعة واثبتها العُرْف . الاحترام للآداب الوطنية التي نراها قد تلاشت امام سراب الحرية . زاد التعليم انتشاراً فزاد تفاهةً واحتقر الناس تعمُّق اسلافهم وهم لا يعبأون الآن الاَّ بما ينفي بغرضهم ويجنون منهُ النفع العاجل »

قال ذلك وقال ما هو اكثر منهُ لانهُ كان مخلصاً لخطأ في اعتقادهِ وخطأ في نتائجهِ ثم رأى نتيجة خطاهِ بعينهِ وقعد نادماً على ما بدر منهُ ولات ساعة مندم . والآن تجني المانيا نتائج خطاهِ وخطا غيرهِ من الذين علموها ان تمتلك الناس بالسيف لكي تعبرهم فلاسفة ويشاركوا في مضار ما جنتهُ اهالي اوربا كلهم واهالي المستعمرات اجمع

الكسل

نشر الكاتب الاميركي ادنكتون بروس مقالة في الكسل في مجلة مككور فرأيت ان اعربها لما فيها من الفوائد العلمية والعملية قال : —

قرأت بعض المؤلفات العلمية الحديثة في التعليم فرأيت فيها قولين متناقضين في الكسل اولهما ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وليست طبيعية فيهِ لان ميلهُ الطبيعي يدفعهُ الى السير في الجهة التي يلقى فيها اقل ما يمكن من المقاومة . وثانيهما ان محبة العمل فطرية في الانسان ولكنهُ يكتسب الكسل اكتساباً

ولدى القائلين بكلٍّ من القولين شواهد عديدة يستندون اليها . فالطفل كثير الحركة لا يهدأ ابداً فيصرف النهار بطولهِ في تناول الاشياء التي امامهُ وفكها وتركيبها او في القاء السؤالات في المواضيع المختلفة . راقب احدهم ولداً لهُ لم يتم عليهِ الحول الاول من العمر يتحن صائر الباب فكان يجلس يوماً بعد يوم يتسلى بفتح الباب واغلاقهِ . وشاهد آخر ابناً لهُ يبلغ من العمر اربعة عشر شهراً يلعب بصندوق صفيح يرفع غطاءهُ ثم يعيدهُ الى محلهِ وقد فعل ذلك تسعاً وسبعين مرة من غير فترة . وكل من راقب طفلاً رأى ايضاً انهُ لا ينقطع عن الحركة . ثم ان كثرة السؤالات التي يلقيها الاولاد واختلاف مواضيعها دليل على ان عقولهم تعمل دائماً . وما تقدم يؤيد قول الفريق القائل بان حب العمل فطري في الانسان

غير اننا اذا نظرنا الى هذا الطفل المجتهد وقد تجاوز سن الطفولية وجدنا فيهِ تغيراً بيناً يؤيد قول الفريق الآخر وهو ان محبة العمل والاجتهاد خلة يكتسبها الانسان اكتساباً وان اكتسابها لا يكون الاَّ بالضغط الشديد . فاذا زرت المدارس سمعت المعلمين يشكون كسل الطلبة واذا زرت المعامل سمعت الرؤساء يتذمرون من كسل العمال والمستخدمين ومن انهم يضيعون الوقت في ما لا طائل تحتهُ مجتنبين الكد والسعي المتواصل ما امكن . بل اذا راجعت تراجم الذين اشتهروا في العالم رأيت ان الاجتهاد لم يكن طبيعياً في كثيرين منهم بل كان